القاعدة الأولى

بعث واستثارة الشوق إلى الله

على مر الأيام والليالي يُخْلَقُ الإيمان في القلب وتصدأ أركان المحبة فتحتاج إلى من يهبك سربالاً إيمانيًا جديداً تستقبل به شهر رمضان، وأصل القدرة على فعل الشيء معونة الله ثمَّ مؤونة العبد، ونعني بالمؤونة: رغبته وإرادته، فعلى قدر المؤونة تأتي المعونة.

وفي الحديث القدسي: «إذا تقرب العبد إليَّ شبرًا تقربتُ إليه ذراعًا، وإذا تقرب إليَّ ذراعًا تقربت منه باعًا، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة» رواه البخاري.

فالمبادرة من العبد ثمَّ الإجابة حتمًا من الربِّ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥].

فلابد من إثارة كوامن شوقك إلى الله عزَّ وجلَّ حتى

تلين لك الطاعات فتؤديها ذائقًا حلاوتها ولذتها، وأية لذة يمكن أن تحصلها من قيام الليل ومكابدة السهر ومراوحة الأقدام المتعبة أو ظمأ الهواجر أو ألم جوع البطون إذا لم يكن كل ذلك مبنيًا على معنى: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾ [طه: ٨٤][1]؟!

ومن لبى نداء حبيبه بدون شوق يحدوه فهو بارد سمج، دعوى محبته لا طعم لها.

لا جرم كان من دعاء النبيِّ ﷺ في صلاته: «وأسألك الرضا بالقضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك ...» رواه النسائي بسندٍ صحيح.

وشوقك لربك ولإرضائه أفناه رَيْن الشبهات والشهوات وأهلكته جوائح المعاصيَ ومرور الأزمنة دون كدح إلى الله،

---

(١) قال أبو حيان الأندلسي رحمه الله: (لما نهض موسى عليه السلام ببني إسرائيل إلى جانب الطور الأيمن حيث كان الموعد أن يكلم الله موسى بما فيه شرف العاجل والآجل، رأى على وجه الاجتهاد أن يتقدم وحده مبادراً إلى أمر الله وحرصًا على القرب منه وشوقًا إلى مناجاته) اهـ: البحر المحيط (٦/ ٢٦٦).

فتحتاج يا باغيَ الخير إلى بعث هذا الشوق من جديد لو كان ميتًا، أو استشارته إن كان موجودًا كامنًا.

عوامل بعث الشوق إلى الله

١ - مطالعة أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، وتدبر كلامه وفهم خطابه فإن من شأن هذه المطالعة والفهم والتدبر فيها أن يشحذ من القلب همةً للوصول إلى تجليات هذه الأسماء والصفات والمعاني، فتتحرك كوامن المعرفة في القلب والعقل ويأتي عندئذٍ المدد(١).

وتأمل قصة أبي الدحداح في فهمه كلام ربه كيُ حرك أُرَيحِيَّتهُ وألبسه حبَّ البذل.

فعن عبد الله بن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ مَن ذَا الَّذي يُقْرِضُ اللَّه قَرضًا حسنًا فيُضاعفهُ لهُ ﴾ [البقرة: ٢٤٥] قال أبو الدحداح الأنصاري: وإن الله يريد منَّا القرض؟ قال: نعم يا أبا الدحداح، قال: أرني يدك يا رسول الله، قال: فناوله رسول الله يده، قال فإني أقرضت

(١) راجع لزامًا كلام ابن القيم في الفائدة السادسة والثلاثين من فوائد الذكر من كتابه الطيب «الوابل الصيّب».

ربِّي حائطي، قال: حائطه له فيه ستمائة نخلة وأم الدحداح فيه وعيالها. قال فجاء أبو الدحداح فنادى يا أم الدحداح! قالت: لبيك، قال: أخرجي من الحائط فإني أقرضته ربِّي عزَّ وجلَّ، وفي رواية أخرى أنها لما سمعته يقول ذلك عمدت إلى صبيانها تُخْرِجُ ما في أفواههم وتنفض ما في أكمامهم فقال النبيُّ ﷺ: «كم من عذْقٍ رداح في الجنة لأبي الدحداح»(١).

وتأمل عاك الله من عَطَنِ الشبهات كيف فهم الصحابي من كلام الله عزَّ وجلَّ المعنى الظاهر بدون أن يكون في قلبه تردد أو تهيب لأن شجرة إيمانه قامت على ساق التنزيه(٢).

٢- مُطالعة منن الله العظيمة وآلائه الجسيمة فالقلوب مجبولة على حب من أحسن إليها ولذلك كَثُرَ في القرآن سَوْقُ آيات النعم الخَلْق والفضل تنبيهًا لهذا المعنى، وكلما ازددت علمًا بنعم الله عليك كلما ازددت شوقًا لشكره

---

(١) العذق من النخل كالعنقود من العنب، رَدَاح: ثقيل لكثرة ما فيه من التمر، انظر «الإصابة» في (٧/٥٧) و«صفة الصفوة» (١/٦١٧).

(٢) لابن القيم رحمه الله مقالات رائقة حول كثير من الأسماء والصفات جمعها بعضهم في كتاب مستقل، وللغزالي رسالة اختصرها النبهاني في «مختصر المقصد الأسنى» لا تخلو من هنات تظهر لممارس الكتاب والسنة.

علي نعمائه.

٣- التحسر على فوات الأزمنة في غير طاعة الله، بل قضاؤها في عبادة الهوى. قال ابن القيم: وهذا اللحظ يؤدي به إلى مطالعة الجناية، والوقوف على الخطر فيها، والتشمير لتداركها والتخلص من رقها وطلب النجاة بتمحيصها. اهـ.

٤- تذكر سبق السابقين مع تخلفك مع القاعدين يورثك هذا تحرقًا للمسابقة والمسارعة والمنافسة، وكل ذلك أمر الله به، قال تعالى: ﴿ **وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ ..** ﴾ [آل عمران: ١٣٨] ﴿ **سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ ..** ﴾ [الحديد: ٢١] وقال: ﴿ **وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ** (٢٦) ﴾ [المطففين: ٢٦].

واعلم - يا مريد الخير - أن بعث الشوق وظيفة لا ينفك عنها السائر إلى الله عزَّ وجلَّ، ولكن ينبغي مضاعفة هذا الشوق قبل شهر رمضان لتُضاعف الجهد فيه، وهذا الشوق نوع من أنواع الوقود الإيماني الذي يُحفِّز على الطاعة، ثم به يذوق المتعبد طعم عبادته ومناجاته.

ومجالات الشوق عندك كثيرة أعظمها وأخطرها الشوق إلى رؤية وجه الله عزَّ وجلَّ، ويمكنك أن تتمرن على قراءة هذا الحديث مع تحديث نفسك بمنزلتها عند الله، وهل ستنال شرف رؤيته أم لا؟ قال ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيِّض وجوهنا؟ ألم تُدخلنا الجنة وتنجنّا من النار؟ فيُكْشفُ الحجابُ، فما أُعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم». رواه مسلم.

وفي مجالات الشوق: الشوق إلى لقاء الله وإلى جنته ورحمته ورؤية أوليائه في الجنة وخاصة الشوق للقاء النبيِّ ﷺ في الفردوس الأعلى.

واعلم أن لهذا الشوق لصوصًا وقطاعًا يتعرضون لك، فاحذر الترفه (وخاصة في شهر رمضان) واحذر فتنة الأموال والأولاد والأزواج، اتركهم وراءك ولا تلتفت وامض حيث تؤمر، واجعل شعارك في شهر رمضان: ﴿**هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ** ﴿٨٤﴾﴾ [طه: ٨٤].

فحيَّهلا إن كنت ذا همة فقدْ ... حدا بك حادي الشوق فاطْوِ المراحلا
ولا تنظر بالسير رفقة قاعدٍ ... ودَعْه فإن العزمَ يكفيك حاملا